

عزیز بن فرحان العنزی

# هكذا كان تعامل

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أهله

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزی

-حفظه الله-

## هكذا كان تعامل

## النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع أهله

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ...

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن الله ﷻ بعث محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، بعثه وقد رباه الله ﷻ تربية عظيمة، ذلك أن الله ﷻ اصطفاه واختاره ليكون خاتم المرسلين، وسيّد الأولين والآخرين صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

ولقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائمًا بالدعوة إلى الله ﷻ خير قيام، بأقواله وبأفعاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإن هناك جانبًا من أعظم الجوانب في

حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ ألا وهو جانب الأخلاق والسلوك والآداب. ذلك أنه ما من عظيمٍ من عظماء الدنيا إلا وله جوانبٌ ظاهرةٌ، وجوانبٌ خفيةٌ، أما نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو سيّد الخلق أجمعين، فإن الله ﷻ قدّر أن يكشف للبشرية جميع أحواله وجميع شؤونه وأخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى يكون قدوةً للناس أجمعين، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقام نساؤه المباركات، المبررات الطاهرات بكشف جوانب حياته البيّنة للناس أجمعين، في عملية لم تحصل أبداً لأحدٍ من بني آدم إلا لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فما من جُزئيةٍ من جزئيات حياته إلا وقد كُشفت للأمة حتى يبقى مثالا يُحتذى، وأنموذجاً يُقتدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

يقول الله ﷻ في شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقد سُئلت أم عبد الله الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"، نعم، كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَأْتِمُرُ بِأوامِرِ الْقُرْآنِ، وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَى عَنْهُ الْقُرْآنُ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّجُلَ يَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ (١).

وأخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم تكن مُختصرةً على جهةٍ دونَ جهةٍ، أو في موقفٍ دونَ مواقف، بل إنَّ حُسْنَ خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان في جميع المواقف والحوادث؛ في غضبه وفي رضاه، وفي سِلْمِهِ وفي حَرْبِهِ، وفي طَعْنِهِ

(١) أخرجه أحمد (٢٥٠١٣)، وأبو داود (٤٧٩٨)، وابن حبان (٤٨٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٤٣).

وفي إقامته، وفي حال مرضه وحال صحته، وفي جميع أموره، كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أحسن الناس أخلاقاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كانت أخلاقه تجاوزت الحدود حتى وصلت إلى القوم الكافرين، هذا هو نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وإذا ما جئنا -أيها المؤمنون والمؤمنات!- إذا ما جئنا إلى جزئية من أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما يتعلق بتعامله في بيته، ومع أهله وأولاده، نكتشف أمرًا نحن بأمس الحاجة إليه، في وقتٍ تعيش كثيرٌ من البيوتات تصحراً وجفافاً، وتشرذماً وانقطاعاً، وتعيش جملةً من العقبات، فحاجتنا إلى التأسّي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في تقديري بأنها في مرتبة الأهميّة والضرورة حتى تعود الحياة إلى كثيرٍ من البيوت التي ماتت فيها المشاعر، وماتت فيها الأخلاق والقيم والآداب.

نعم، إنه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، هذا النبي الكريم رُغم اهتماماته العليا، ورغم مشاغله الكبرى، كان يلتفت إلى نسائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فحينما بعثه الله ﷺ، وجه الدعوة أوّل ما وجّهها إلى خديجة، تلك العملاقة من عمالقة الإيمان والإسلام، فدعاها إلى الله ﷻ فأمنت به، وأسلمت لله رب العالمين، فسُجلت ضمن أول من أسلم في هذا الدين العظيم.

وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما توفرت فيها صفات الحفظ والذكاء، واللّوذةيّة والدهاء، ركّز عليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأصبحت فقيهة هذه الأمة، يُثنى في مجلسها الرُّكْب، ويُعقد في حلقاتها بالخنصر يستفتونها ويسألونها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها.

وبنات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومنهن فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا والتي منحها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جزءاً من وقته حتى أصبحت من خير نساء الدنيا،

ومن خير نساء الجنة ﷺ وأرضاهن.

هكذا التفت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى زوجاته، وإلى بناته تعليمًا وتوجيهًا، وزرعًا للثقة حتى يَكُنَّ قدواتٍ لهذه الأمة.

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَحْتَشِنُ على العبادة والطاعة، كان مرةً يقول: «مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْحَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوِيحِبَاتِ الْحُجْرَاتِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>».

وإن من نسائه من بَلَغْنَ من التَّأَلُّهِ والتَّنْسُكِ والتَّعَبُّدِ أنها تضع حبلًا إذا فترت في قيام الليل تَعَلَّقَتْ به، وهي زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فلما مرَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ووجد هذا الحبل وأُخْبِرَ بالسبب، حَنَّ عليها، وعطف عليها، وقال: «لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطُهُ»، ثم أمر بالحبل فحُلَّ وقام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأمرها بأن تصلي وقت النشاط، وأن تنام وقت الفتور<sup>(٢)</sup>، هكذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

نبينا الكريم لم تمنعه أبهة الرسالة، ولا عظمة النبوة، ولا علو المنزلة والمكانة، ولا هذا الانشغال الواسع الكبير بهموم الأمة، لم يمنعه ذلك أن يتواضع في بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن يُشارك نساءه بعض أعمال البيت.

فهذه عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُسأل عن شخصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بيته، كيف يكون عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ هذا النبي الكريم، رسول رب العالمين، وخاتم المرسلين، هذا الذي حمل هم الدعوة إلى الله، يدعو إلى الله قائمًا وقاعدًا، يدعو إلى الله في جميع الأحوال، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "كان النبي

(١) أخرجه البخاري (١١٥، ١١٢٦) من حديث أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بشراً من البشر، يَفْلِي ثُوبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَخْدُم نَفْسَهُ فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ" (١).

لا إله إلا الله، نعم، صَنَعَهُ اللهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَرَبَّاهُ اللهُ ﷺ تَرْبِيَةً عَظِيمَةً، كَانَ يَتَوَاضَعُ، وَكَانَ يُعِينُ أَهْلَهُ عَلَى أَعْيَابِ الْبَيْتِ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَثِيرًا مَا يَمْنَحُ أَهْلَهُ هَذِهِ الْعَاطِفَةَ الَّتِي طَالَمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ عَطَشَى لَهَا، وَكَانَ الْأَوْلَادُ بِأَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُشْبِعُ هَذِهِ الْغَرِيْزَةَ، وَيَمْنَحُهُمْ عَطْفًا وَحَنَانًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

كَانَ يُدَاعِبُ أَوْلَادَ بَنَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَهَذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَرْكَبَانِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَيَعْلَوَانِ كَتْفَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ رَبْمَا أَخْرَجَ لِسَانَهُ لِأَحَدِ أَوْلَادِ بَنَاتِهِ، فَيُكْرِكِرُ ضَحْكًَا لِمَا يَرَى مِنْ حُمْرَةِ لِسَانِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَحِينَمَا كَانَ خَطِيبًا عَلَى الْمَنْبَرِ، وَجَاءَ يَتَعَثَّرَانِ بِثَوْبَيْهِمَا نَزَلَ وَجَاءَ يَتَعَثَّرُ أَحَدُهُمَا بِثَوْبِهِ، نَزَلَ فَحَمَلَهُ، ثُمَّ رَفَى الْمَنْبَرَ وَقَالَ: «صَدَقَ اللهُ! ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]» (٢).

لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِذَلِكَ الزَّوْجِ الْفِظِّ الْغَلِيْظِ قَطُّ، بَلْ كَانَ زَوْجًا مِثَالِيًّا مِتْسَامِحًا، عَطُوفًا، يَمْنَحُ زَوْجَتَهُ هَذَا الْحَنَانَ وَتِلْكَ الْعَاطِفَةَ، فَمَا

(١) أخرجه أحمد (٢٥٣٤١)، وابن حبان (٥٦٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٤٩٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٦١٦٨).

هَوَتْ عَائِشَةُ شَيْئًا إِلَّا وَذَهَبَ لَهَا وَهِيَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وحيثما جاء الحبيشة يَزْفِنُونَ في المسجد وهي رقصة شعبية، وقد أذن لهم النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بذلك، منح بعض زوجاته فرصة للنظر، تقول عائشة: "فَقَمْتُ مِنْ خَلْفِهِ أَضْعُ رَأْسِي عَلَى كَتْفِهِ أَنْظِرْ إِلَيْهِمْ" <sup>(١)</sup>، نعم، كان النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يمنحهن شيئاً من اللهو البريء والمباح لهن **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

بل إن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كان إذا جاء الليل خرج بعائشة يتحدث هو وإياها، يخرج حينما يُسْدِلُ اللَّيْلُ سُتُورَهُ، وحينما يحلُّ الظلام، يخرج بأهله يَتَمَشَّى كما نقول بالعامية، يتمشى بأهله، ويتحدث معهم، ويقطع بعض الوقت مع زوجته **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

كان النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** من حُسنِ عشرته لزوجاته أنه كان يُفصِح عن مكنونات ضميره، وعمّا خَبَّاهُ قلبه وصدرة، فكان يُعلنها مُدَوِيَّةً أَنْ أَحَبَّ النَّاسُ إِلَيْهِ عَائِشَةُ **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**، يُعْلِنُ حُبَّهُ لَهَا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ولم يكن أبداً يسمح **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لامرأةٍ من نساته مهما بلغت الغيرة أن تتناول خديجة، تلك المرأة التي احتضنته وآوته، وآزرتة، ووقفت معه في أشدِّ المواقف صعوبةً، فلما قالت عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** -وقد غارت من كثرة ذكر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** لها قالت - : " ما تريد من امرأةٍ عجوز، حمراء الشدقين، وقد أبدلك الله ببيكر"، فغضب وانفرض **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وقال: «لَقَدْ رَزَقَنِي اللهُ حُبَّهَا وَإِنَّ لِي مِنْهَا وَلَدًا» <sup>(٢)</sup> وهي كذا وكذا، وأخذ يُعدّد مناقبها

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤)، ومسلم (٨٩٢) من حديث عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٣٥) من حديث عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا**.

وفضائلها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها.

هكذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُظهر محاسن زوجاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعلن عما في صدره تُجاهَ زوجاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يصبر صبراً عظيماً وعجيباً على ما يعترضه من الغيرة الشديدة من زوجاته، وَحُقَّ لهنَّ يُرِدْنَ الفوز بقلبه وبرضاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَصَبَرَ عليهنَّ صبراً عظيماً، بل إن هذه الغيرة تذوب في صبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتذوب في حِلْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يصبر صبراً عظيماً، فمرة أرسلت إحدى نساته بطعام إليه وكان في بيت عائشة، فلما رأت الطعام نَبَضَ عِرْقُ الغَيْرَةِ في صدرها فضربت الإناء، فانكفأ الطعام، وانكسر الإناء، فصبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل زاد على ذلك تبسُّماً، ثم قال عبارةً بَدَّدت هذا الغضب، وأزاحت هذا الذي يريد الشيطان إحداثه حينما قال: «غَارَتْ أُمَّكُمْ، غَارَتْ أُمَّكُمْ» فأصبحت عنواناً عريضاً لكل زوج يريد أن يتعامل مع أهله بمثل هذه الصورة أن يتحمَّل مثل هذه الغيرة، ثم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَاءٌ بِإِنَاءٍ وَطَعَامٌ بِطَعَامٍ»<sup>(١)</sup> وانتهت المشكلة، وأقفلت القضية.

كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتعامل تعاملًا عجيبًا، لا تستفزه المواقف، ولا تُثيره بعض العبارات، جاءت أم المؤمنين صفية بنت حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها تبكي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أو أن النبي

(١) أخرجه الترمذي (١٣٥٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٣٩١١)، وأصله في البخاري (٢٤٨١، ٥٢٢٥) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



**عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** دخل عليها وهي تبكي، فسألها «مَا الَّذِي يُبْكِيكِ؟»، فقالت: "حفصة بنت عمر أم المؤمنين"، وما ذاك؟ قالت: "تقول لي: يا ابنة اليهودي، أو يا بنت اليهودية"، فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال لها: «قُولِي لَهَا: أَنْكِ ابْنَةُ نَبِيِّ، وَعَمُّكِ نَبِيٍّ، وَأَنْتِ تَحْتِ نَبِيٍّ<sup>(١)</sup>» فماذا بعد ذلك؟ فانتهت القضية، وحلَّ الأمر، وتجاوز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ بزوجه مثل هذا الحدث.

ومرةً من المرات استأذن أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسمع صوت عائشة يعلو على صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يا لله! يا لله! رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ترفع امرأةً من نسائه صوتها عليه، فهم بلطمها فحال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين أبي بكر وبين ابنته، وحجَّزَه ودَفَعَه، فخرج أبو بكر مغضبًا، خرج مغضبًا، ثم التفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ متبسّمًا يقول لعائشة: «كَيْفَ وَجَدْتَنِي وَقَدْ حُلْتُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرَّجُلِ؟»؛ يعني دافعت عنك رغم ما حصل، ثم بعد أيام عاد أبو بكر يقول لهما: أَدْخَلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ كَذَلِكَ، نَعَمْ كَذَلِكَ<sup>(٢)</sup>» رُوي بإسنادٍ على شرط مسلم، لا بأس به، حسَّنه بعض أهل العلم.

**عباد الله!** هكذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ مع أهله، ولما سُكِّي إليه أن أناسًا يضربون زوجاتهم، أعلنها مدويةً وقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا

(١) أخرجه أحمد (١٢٣٩٢)، والترمذي (٣٨٩٤)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٦١٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٩٤)، وأبو داود (٤٩٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٥٥)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٠١).

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي<sup>(١)</sup>، وكان يقول: «أَوْلَيْكَ لَيْسُوا بِخِيَارِكُمْ».

هذه بعض النماذج أيها المؤمنون في تعامل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأخلاقه مع زوجاته، ومع أهله وآل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، حاجتنا إليها كما ذكرت في مرتبة الأهمية، وذلك لتصحّر كثير من البيوت، ولجفافها وانقطاعها عن كثير من هذه القيم والمبادئ التي جاء بها نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم.



(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن حبان (٤١٧٧)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٢٥٢).

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصَلَّى اللهُ اللهُ وَسَلَّمَ وبارك على النبي المصطفى، وعلى مَنْ بآثره اقتفى إلى يوم الحشر والمنتهى.

أما بعد...

فاتقوا الله يا عباد الله، وارتبطوا بسُنَّةِ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وخذوا من أخلاقه وآدابه، فإنها والله الفوز والفلاح، كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعيش في بيته حياةً طبيعية، فكما أنه يصرف الوقت الكثير لله ﷻ، يَصِفُّ قَدَمَيْهِ، وَيُلْقِي بِرَأْسِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاجِدًا لِلَّهِ، كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعيش حياةً طبيعيةً مع أهله، بعيدةً عن الملل، وذلك الروتين الرتيب الذي تمارسه كثيرٌ من البيوتات.

بل كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلما شعر بمللٍ في بيته وفي أهله، قَدَحَ زِنَادَ النشاطِ والمرحِ في بيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل حتى في أخرج المواقف، فحينما شكا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صداعًا في رأسه، قالت عائشة وهي تشكو صداعًا في رأسها، ثم قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»، ثم قالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "كأني إذا مت ذهبت فتزوجت غيري" (١) فَيَسُودُ جَوْ مِنْ المَرِحِ والفرح مع هذا الظرف المرضي بين النبي

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبين زوجته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

بل إن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يزرع الابتسامة زرعاً في وجوه زوجات النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أكثر من موقف عليه من ربي أفضل الصلاة وأتم التسليم:

كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يبحث عن شيءٍ مفقود، ولا يردُّ شيئاً موجوداً، كان لا يردُّ شيئاً موجوداً، ولا يبحث عن شيءٍ مفقود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كان إذا أصبح يقول: «هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ» فقالوا: نعم؛ أكل، وإن قالوا: لا؛ قال: «أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ صَائِماً<sup>(١)</sup>» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يعيب طعاماً؛ إن أحبه أكله، وإن لم يُحبه تركه من دون أن يُبشع، ولا أن يُقبَّح، ولا أن يسبَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ما كان يعيبُ طعاماً قطُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup>.

كان ربما ينام على السرير، وينام على النُّطعِ، وينام على الحصير، فيؤثِّرُ في جنبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

حاجتنا أيها المؤمنون رغم قصر الخطبة واقتضابها إلى ولوج بيت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإلى تفحص أخلاقه، والنظر في تعامله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرٌ مهمٌ جدًّا في وقتٍ أصبح بعض الحمقى من الرجال يُطلق لأجل أن زوجته لم تُعدَّ سفرة الطعام، وأصبح كثيرٌ ممن يركبون الأحمقات يسبون، ويُجدِّعون، ويلعنون، ويشتمون لأجل أن المرأة تأخرت في واجبٍ من الواجبات.

(١) أخرجه مسلم (١١٥٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأصبحت كثيرٌ من البيوتات تعيش أزمةً واستفزازًا لأنفه الأسباب، نسأل الله السلامة والعافية، وهذا إن دل على شيء يدل على تصحُّر الإيمان، وضعف التقوى، وقلة مخافة الله، والابتعاد عن أخلاق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

نعم، نحن بأمس الحاجة إلى الالتصاق وليس الاقتراب بأخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن نتمثلها واقعا عمليا، وأن نترجمها تطبيقًا من خلال أقوالنا وأعمالنا وتصرفاتنا، فإن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شهد بالخيرية لمن كان خيرا لأهله، فقال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(١)</sup>، فاقروا في شمائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتنسموا من عبير حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تكونوا من الراشدين.

فرحان

أدكتور عتبه بن فرحان الجبالي العنزى  
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi

(١) سبق تخريجه.